مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255/E-ISSN 2588-2414
المجلد10 العدد01 – جوان 2023

OEB Univ. Publish. Co.

المقومات السياحية كآلية استثمارية في التنمية

" حالة درب السياح بقسنطينة "

Tourism Opportunities as a Mechanism for Investment In Development, Case tourist paths in Constantine

د. توفيق خنشول [1]*، د. نذيرة بوقبس [2]

[1] جامعة أم البواقي، toufik.khenchoul@univ-oeb.dz

[2] جامعة قسنطينة3، bnadira@gmail.com

تاريخ التسليم:18-1-2023 تاريخ التقييم: 3-2-2023تاريخ القبول:26-3-2023

الملخص

إنّ الهدف من هذه المداخلة هو إعطاء صورة تحليلية عن المقومات السياحية من خلال عمليات الجذب السياحي كآلية استثمارية للتنمية الاقتصادية، حيث تعد السياحة من أهم القطاعات التي تساهم بشكل كبير في ازدهار الاقتصاد ومحرك للتنمية.

أعطت الجزائر في الألفية الأخيرة أهمية كبيرة للسياحة بعد ما تفطنت إلى الدور المهم الذي يلعبه هذا القطاع في تنمية وتطوير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوطن، والذي لطالما اعتبر مهملا على عكس الدول المجاورة لها وعلى سبيل الحصر تونس الشقيق والتي يعتمد اقتصادها على المداخيل السياحية بالدرجة الأولى، فقد وضعت الدولة الجزائرية مجموعة من البرامج المختلفة وتوفير أموال كبيرة لترقية القطاع عبر مختلف ولايات الوطن وخاصة المدن الكبيرة بما فيها قسنطينة موضوع مداخلتنا

Abstract

The purpose of this intervention is to provide an analytical picture of the components of tourism through attractions as an investment mechanism for economic development Tourism is one of the most important sectors contributing significantly to the economic prosperity and an engine for development. During the last millennium, Algeria has attached great importance to tourism, having become aware of the important role played by this sector in the development and evolution of the economic, social and cultural aspects of the country, which has considered long careless in contrast to its neighbors, namely Tunisia, which is mainly dependent on its economy of tourism revenues. The Algerian republic has developed a range of different programs and provided substantial funds for the promotion of the sector across the various wilaya of the country, especially the big cities, including Constantine, which are the subject of our intervention because of its important place in its territory and again it is the capital of the east. As it contains many and diverse tourist components, including natural, historical,

وذلك لمكانتها الهامة في إقليمها، ولما تحتويه من مقومات سياحية عديدة ومتنوعة منها الطبيعية، التاريخية، الدينية والثقافية، والتي من شأنها أن تسمو بها إلى أولى المراتب السياحية على التراب الوطني إذا ما استغلت بطريقة عقلانية وعلمية سليمة. ونخص بالذكر درب السياح بالمدينة والذي يعتبر من أهم المشاريع التنمية السياحية أنجز في عام 1895م، فما هو مصير هذا الدرب منذ إنجازه إلى غاية اليوم وما هو الدور المنوط به إزاء الجذب السياحي والذي يعتبر كآلية للاستثمار والتنمية في نفس الوقت متنفسا جديدا يعطي مكانة قسنطينة إقليميا ووطنيا ولما لا عالميا.

الكلمات المفتاحية: مدينة قسنطينة، درب السياح، المقومات السياحية، الاستثمار، التنمية.

religious and cultural status, which would be elevated to the first tourist rank on the national territory if exploited in a rational and sound scientific manner. In particular, the city's tourist road, one of the most important tourist development projects carried out in 1895. Is the fate of the road from its completion to the present day and the role it has to play in attracting tourism, which considered as an investment and development mechanism at the same time a new process that gives the status of Constantine regionally, nationally and why not in the word?

Keywords: City of Constantine, tourist path, tourist opportunities, investment, development.

*المؤلف المراسل: توفيق خنشول، الإيميل: authorC@yahoo.com

1. مقدمة:

إن للسياحة دورا هاما في التنمية الاقتصادية للعديد من دول العالم لما لها من عائدات كثيرة ومباشرة، إضافة إلى سهولة توطينها والاستثمار فيها. كل هذا من أجل جذب أكبر عدد من السياح وبالتالي الحصول على أكبر فرصة للتنمية، هذه المنافسة قد تكون على مستوى عالمي أو إقليمي أي بين الدول المجاورة أو على مستوى محلي داخل البلد نفسه، والجزائر هي أحد دول العالم التي تمتلك إمكانيات سياحية ضخمة تؤهلها لأن تكتسب أرقى المراتب الدولية في مجال السياحة إن كان ذلك على مستوى البحر المتوسط أو حتى على المستوى العالمي، هذه الإمكانيات التي إذا تم استغلالها بالصفة المثلى ستكون مفتاح التنمية الاقتصادية بعد المحروقات، فقد أجمع الخبراء على أن البديل الأمثل لصادرات المحروقات هو السياحية باعتبارها موردا دائما من جهة ولتنوع العرض السياحي من جهة أخرى. فالكمائن السياحية للجزائر كالشريط الساحلي، الجبال، الغابات، المدن،

التاريخ، الثقافة، الصحراء وغيرها توفر عرضا سياحيا متنوعا على مدار السنة، حيث يمكن أن تنشأ سياحة صيفية في الشمال وسياحة شتوية في الصحراء من أجل استغلال هذه الإمكانيات تبنت الجزائر عدة سياسات ابتداءا من فترة ما بعد الاستقلال إلى يومنا هذا.

مرت الجزائر بعدة فترات تاريخية عرفت خلالها قيام عدة حضارات مرّت بها، فنشأت عدة أنواع من السياحة في أكبر مدنها من بينها مدينة قسنطينة موضوع بحثنا والموسوم بالمقومات السياحية كآلية استثمارية في التنمية "حالة درب السياح بقسنطينة"، فقد اهتمت فرنسا في الفترة الاستعمارية بالسياحة في الجزائر بصفة عامة وقسنطينة على وجه الخصوص لما تتوفر به من إمكانيات سياحية معتبرة انطلاقا من موضعها المنفرد في العالم والذي زاد في رونقها، وكذا جسورها المعلقة التي أعطت تحفة فنية تعكس عبقرية الانسان الذي خلّف وراءه معالم وآثار كثيرة شاهدة على تاريخ قسنطينة العريق، وذلك لما لي هذه المدينة من أهمية في المجال السياحي.

من خلال كل هذه المعطيات تتمحور الإشكالية المطروحة في هذا البحث في التساؤلات التالية: **ما هي يا ترى هذه المقومات السياحية بالمدينة؟ وما هو هذا الدرب السياحي؟ وهل هو وليد الاستعمار أم امتداد لحضارات قديمة قبله؟ كيف سنتعامل مع هذا الدرب مع التغيرات السياسية بالبلاد وتداول الولاة على المدينة في ظل مشروع يمكن المجازفة به مقابل التأثير الكبير في تنمية قسنطينة سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي؟**

يهدف هذا البحث إبراز مدى أهمية المؤهلات والمقومات والمكنونات السياحية بمدينة قسنطينة التي تجمع بين مختلف الحضارات من رومانية، إسلامية واستعمارية فرنسية كل تفنن وأبدع ما لديه من استراتيجيات في التخطيط العمراني والمعماري، وإعطاء صورة عبر تاريخ مدينة قسنطينة وصولا إلى السياسات السياحية المتبعة من أجل الارتقاء بالمدينة إلى أعلى المستويات بجعلها مدينة سياحية حديثة دون منافس.

فالمحصلة النهائية لكل هذه المقدمات تكمن في الزيارات الميدانية المتكررة والوقوف على الموقع السياحي ألا وهو درب السياح والذي يعتبر موقع سياحي بامتياز والوقوف على نجاحه من خلال توفر الظروف الملائمة لذلك كاستثمار في ظل التنمية الاقتصادية، التي تسخر لها الدولة كل الإمكانيات المادية والبشرية خاصة عملية التهيئة والتي تعتمد أساسا على دراسة الأخطار (Etude de Risques) لهذا الموقع.

تم الاعتماد على خطة منهجية واضحة نتطرق فيها إلى أهم المقومات السياحية الموجودة بالمدينة عبر مختلف الفترات التي مرت بها، ثم مدينة قسنطينة في ظل درب السياح كنزهة فريدة في العالم وأخيرا ما هي النتائج المتوصل إليها من أجل دفع عجلة التنمية الاقتصادية بالمدينة.

إنّه من البديهي قبل الخوض في أي موضوع بحث يجب التطرق أولا إلى مفاهيم وتعاريف هذا الموضوع الذي نقوم بدراسته، ألا وهو السياحة.

2. مفهوم السياحة:

- هي نشاط يمارسه الانسان بقصد الترويح عن النفس، وفق ما ينسجم مع رغباته في مدة تزيد عن يوم واحد يتطلب المبيت، مثل زيارة الآثار أو المكوث في مناطق الغابات أو الجبال أو سواحل البحار أو في الصحاري، وكذلك زيارة الأماكن المقدسة أو التي لها أهمية دينية خاصة[1].
- السياحة لغتا: وهي التنقل من بلد إلى بلد طلبًا للتنــزه أو الاستطـلاع و الكشف[2].
- وفي المفردات: ساح في الأرض مرّ مرّ السائحُ، قال تعالى: {فسيحوا في الأرض أربعة أشهرٍ} سورة التوبة من الآية2، ورجل سائحٌ في الأرض و سَيّـاح، والسّائِحون هُـمُ الذين يتحَرّون ما اقتضاه قوله تعالى(أفلم يسيوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) سورة الحجر الآية 46 [3].

3. المقومات السياحية لمدينة قسنطينة:

تزخر مدينة قسنطينة بتراث أثري عريق يعود إلى فترات وعصور متعاقبة عرفتها المدينة من خلال الشواهد المادية التي عثر عليها بمناطق ومواقع تاريخية يمكن استغلالها في تنمية السياحة، فهذه المقومات السياحية التي تتمتع بها قسنطينة لما لها أهمية من أجل معرفة هوية المدينة التي يحكي تاريخها عنها شاهد عليها تتجلى في المؤهلات التاريخية لفترات نختصرها في العنصر الموالي:

4. المقومات السياحية التاريخية بالمدينة:

نتطرق في هذا العنصر إلى المقومات السياحية التاريخية والتي نقتصر فيها على مدينة قسنطينة فقط، أين تم تقسيمها إلى عنصرية أساسيين هما:

---

[1] صبري فارس الهيتي، التخطيط الحضري، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان –الأردن–، سنة 2009، ص 225.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيـط، دار النشر مكتبة رحمانية، سنة 2003، ص 467.

[3] أبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، المفردات في غريب القرآن، الجزء الأول، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ص 324.

⇦ **العنصر الأول** المقومات السياحية ما قبل الاستعمار الفرنسي: والتي تضم معالم وآثار لفترة ما قبل التاريخ (العصور الحجرية، فجر التاريخ والفترة النوميدية)، ثم الفترة التاريخية وفيها (الفترة الرومانية، الفترة الإسلامية والفترة العثمانية).

⇦ **العنصر الثاني** المقومات السياحية خلال الاستعمار الفرنسي.

1.4 المقومات السياحية ما قبل الاستعمار الفرنسي:

وتتمثل في المعالم والآثار القديمة تذهب إلى العصور الحجرية وتتمثل في[4]:

1.1.4 موقع المنصورة: وهي عبارة عن تكوين نهري بحيري يبلغ ارتفاعها 750 م، وقد كانت آهلة بالسكان خلال بداية الزمن الجيولوجي الرابع، تحتوي على بعض المتحجرات التي تعود إلى البليوسين الأعلى. تعتبر من أقدم مواقع ما قبل التاريخ (الباليوليتي الأسفل) في الجزائر[5].

2.1.4 موقع جبل الوحش: تتوضع محطة جبل الوحش شمال شرق مدينة قسنطينة على بعد 12 كلم منها في ارتفاع 1200 م، ويعتقد أن هذا المكان كان منبع رئيسي للمياه فاستقطب بذلك إنسان ما قبل التاريخ.

3.1.4 كهوف سيدي امسيد: وتتمثل في الكهوف التالية:

أ. كهف الدببة (غار زهار): يقع بهضبة سيدي امسيد شمال الصخرة عند ثاني نفق للسكة الحديدية التي تربط مدينة قسنطينة بسكيكدة.

ب. كهف الأروية: يقع كهف الأروية بسيدي امسيد غير بعيد عن كهف الدببة، ويبلغ طول رواقه أكثر من 100م، أما عرضه فيتراوح من 5 إلى 6 م، في حين يقدر إرتفاعه من 1 إلى 4 م، وقد سمي بهذا الإسم نسبة إلى حيوان الأروى الذي عثر على بقاياه بهذا الكهف، كما يطلق عليه الناس تسمية كهف الظليمات لشدة عتمته.

ج. كهف الحمام: يقع كهف الحمام بهضبة سيدي امسيد مثلما هو الشأن بالنسبة لكهف الدببة والأروية وينقسم إلى قسمين أحدهما رئيسي يتجه نحو الشمال الغربي ذو عرض يتراوح ما بين 10 و 12 م، وآخر ثانوي يتجه نحو الغرب. عثر في هذا الكهف على عدة بقايا منها الحيوانية، الفخارية والآدمية. يعتقد أنها تعود للفترة النيوليتية.

---

[4] مديرية السياحة لولاية قسنطينة، سنة 2021.

Direction du tourisme de la wilaya de Constantine, Avant–Projet d'élaboration d'un guide touristique de la wilaya de Constantine, 2006, P02.) 5 (

4.1.4. الأقواس الرومانية: وهو من شواهد الحضارة الرومانية تتواجد بطريق الصومام بالقرب من محطة المسافرين الشرقية للمدينة، عند إلتقاء واد الرمال وواد بومرزوق، كانت تستعمل لحمل قنوات التزويد بالمياه الصالحة للشرب من منابع بومرزوق إلى الخزانات والصهاريج الموجودة في كدية عاتي، يبلغ طولها 60 م وارتفاعها 20 م. كان عدد الأقواس 10 مبنية من الحجارة لم يبقى منها سوى خمسة (05).

5.1.4 حمامات القيصر: نقول حمامات قيصر أو حمامات سيزار والتي مازالت آثارها قائمة إلى اليوم وتوجد في منحدر وادي الرمال في الجهة المقابلة لمحطة القطار.

6.1.4 أبواب سيرتا: كانت مدينة قسنطينة بسور تتخلله ستة (06) بوابات تغلق جميعها في المساء وهي:

باب الحنانشة – باب الرواح – باب القنطرة – باب الجابية – باب الجديد – باب الواد. لقد كانت هذه الأبواب تقوم بوظيفة التحصين للمدينة ضد الغرباء وبدأت تختفي بالتدريج إلى أن أزالها المستعمر الفرنسي.

7.1.4 الجامع الكبير: يقع في وسط المدينة بشارع العربي بن مهيدي، يعد من أقدم المساجد في مدينة قسنطينة، بني في القرن 13 في مكان تواجد أنقاد معبد روماني وكان ذلك عام 1136 م، يتميز بالكتابات العربية المنقوشة على جدرانه يعكس الفترة الإسلامية.

8.1.4 قصر أحمد باي: يتواجد قصر الباي في وسط المدينة بساحة القائد سي الحواس، تم تشييده بطلب من الباي أحمد آخر البايات إنطلاقا من سنة 1827 م وانتهت الأشغال به في 1835 م من طرف بنائين جزائريين مهرة، ويمثل آثار حية عن الحضارة العثمانية، لكن لم يسكنه الباي سوى عامين وسقطت قسنطينة في أيدي الإحتلال الفرنسي.

9.1.4 المساجد والمدارس: ونذكر من هذه المساجد ما يلي:

أ. مسجد سوق الغزل: يسمى كذلك جامع حسن باي تم بناؤه سنة 1721 م، يوجد بنهج ديدوش مراد حاليا (Rue de France سابقا) أمر ببنائه الباي (فليان حسن باي)، يرجع إسم هذا المسجد على السوق الذي كان موجودا بالقرب منه والذي كان يباع فيه الصوف، تم تحويل هذا المسجد إلى معبد كاثوليكي أثناء الإحتلال الفرنسي سنة 1838 م ثم عاد إلى مهامه الأصلية بعد الإستقلال عام 1963 م، وهو يوجد قرب قصر الباي.

ب. مسجد سيدي لخضر: يسمى كذلك الجامع الأخضر، يوجد بحي الجزارين ويعود تاريخ بنائه إلى سنة 1743م، شيده الباي حسين بن حسين المعروف ب (بوحنك) المدفون في هذا المسجد.

ج. مدرسة سيدي لخضر: تقع في رحبة الصوف بحي الجزارين، أسست من طرف صالح باي سنة 1779م إشتهرت مند نشأتها بإسم مدرسة جامع سيدي لخضر نسبة إلى الشيخ سيدي لخضر الذي كان أول عالم في المسجد المجاور للمدرسة، أما اليوم فقد أضحت المدرسة في طي النسيان إذ أنها تعرضت للتغيير في شكلها المعماري الأصلي ورغم ذلك تبقى معلما ورمزا يستحق قيمة أثرية وتاريخية كبيرة.

د. مسجد سيدي الكتاني: يتواجد بالقرب من سوق العصر بساحة بوهالي السعيد، ويعود تأسيس المسجد إلى عهد قيادة صالح باي إبن مصطفى، وجدد جزء منه في عهد نابليون الثالث وهو مازال لحد الآن يقوم بوظيفته الدينية.

هـ. مدرسة سيدي الكتاني: تقع بالجزء الثاني للمدينة العتيقة أي أعلاها قريبة من جسر سيدي مسيد المعلق والمؤدي إلى المستشفى، وكذا بمحاذاة السوق الشعبي المعروف بسوق العصر، أسسها صالح باي عام 1787 م لتعليم مختلف العلوم التي إشتهرت بإسم الكتانية، والآن فقدت المدرسة وظيفتها الأساسية وتحولت إلى دار الإفتاء للشؤون الدينية الولائية بقسنطينة.

10.1.4 الزوايا: ومهمتها تقتصر في تعليم القرآن الكريم والدروس الدينية نذكر أهمها:

أ-الزاوية التيجانية. ب-زاوية بن عبد الرحمان. ج-الزاوية الرحمانية. د-الزاوية القادرية.

2.4 المقومات السياحية خلال الاستعمار الفرنسي:

عرفت مدينة قسنطينة خلال الاستعمار الفرنسي تحولا كبيرا، ولعلّ أهم حدث عرفته هو قرار 09 جوان 1844 الذي كان غطاء لضرب الهوية الإسلامية ووحدتها العمرانية، وذلك بتقسيمها إلى قسم أوروبي وقسم عربي خاضع للحكم العسكري[6].

1.2.4 مصعد سيدي امسيد: يتواجد هذا المصعد وسط أخدود صخري على عمق 156 م، بمحاذاة سلم حديدي خاص للنجدة، يستعمل في النزول إلى جسر الشلالات والطريق المؤدي إلى مسبح سيدي مسيد.

2.2.4 نصب الأموات: يعود بناؤه إلى سنة 1934 م، وقد شيد تخليدا لموتى فرنسا والجزائر الذين سقطوا في الحرب العالمية الأولى، من على سطح هذا النصب يستطيع الزائر أن يمتع ناظريه ببانوراما عجيبة لمدينة قسنطينة، أقيم عليه تمثال النصر الذي يبدوا كطائر خرافي يتأهب للتحليق.

3.2.4 تمثال قسطنطين: يوجد مقابل محطة المسافرين للنقل بالسكك الحديدية يعود تاريخ بنائه إلى العصر الإستعماري، فقد بناه الفرنسيون بمناسبة مرور مائة (100) سنة من الاحتلال الفرنسي.

[6] مديرية السياحة لولاية قسنطينة، سنة 2021.

4.2.4 درب السياح:

يقع على حواف مضيق مجرى واد الرمال، يبلغ طوله حوالي 2700 متر وكان جزء من هذا المسار موجودًا في العصر الروماني مما يسمح لهم بالوصول إلى حمامات قيصر. وفي بداية القرن التاسع عشر أي حوالي سنة 1906م استأنفت فرنسا المسار الروماني القديم كفكرة سياحية تسمح للناس باستكشافها وتقدير موقعها المذهل واللافت للنظر بشكل خاص علاوة على النصب الأثرية ذات القيمة السياحية الكبيرة الموجودة. هذا الدرب السياحي أكمله المهندس الفرنسي ف. ريماس " F. Remes" خلال الحرب العالمية الثانية مع حمايته وتأمينه بسياج قوي، والذي كان يبدأ من جسر الشيطان وصولا إلى جسر الشلالات، ويمتد على طول المصادر المائية الصخرية والينابيع المتحجرة التي تشكلت على مر السنين وكونت حصوات غريبة في شكل حويصلات هوائية عبارة عن فجوات وأقبية مائية أبدعتها الطبيعة وتفننت فيها.

5. مدينة قسنطينة ضمن درب السياح:

كان موقع المدينة على الصخرة الاستثنائية بمثابة أسوار طبيعية كحصن ضد الغزاة. إلا أنّ السكان الذين استوطنوا وعاشوا فيها عبر حقبات زمنية وعصور مختلفة في هذه المدينة من رومان، أتراك ثم فرنسيين قاموا بإنشاء مسالك وطرق وجسور من أجل عبور هذه الخوانق المحيطة بها والأودية وتفننوا فيها، هذا ما يوضحه الشكل رقم (01) أدناه، ومن بين هذه الجسور المميزة لقسنطينة نذكر منها[7]:

شكل 1: مدينة قسنطينة مخطط المدينة القديمة مع مسلك درب السياح

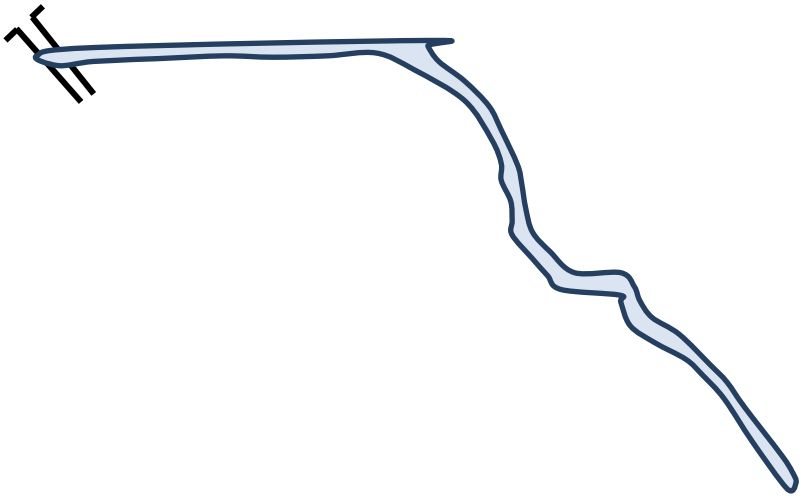

[7] مديرية السياحة لولاية قسنطينة، سنة 2021.

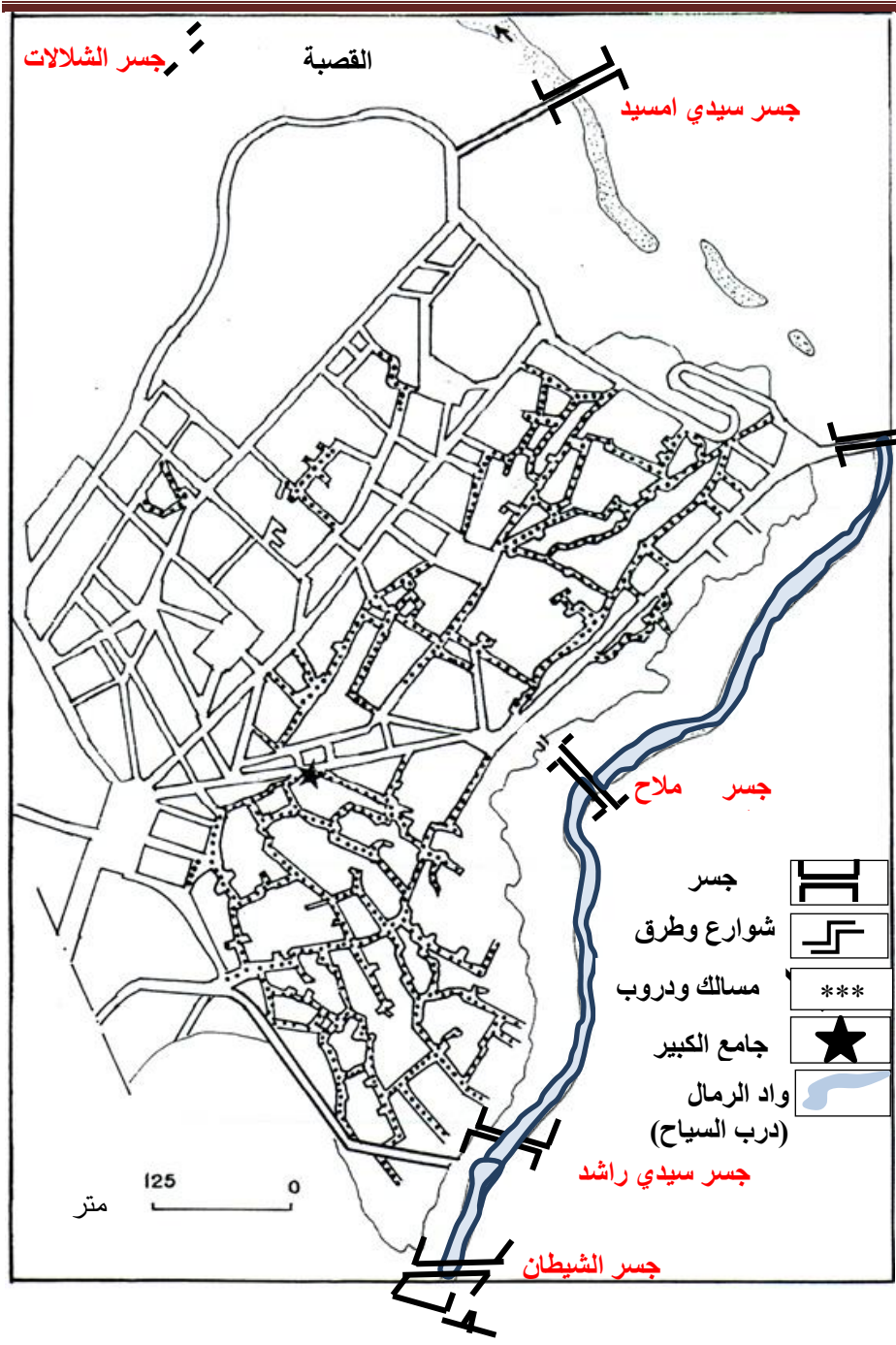
جسر الشلالات
القصبة
جسر سيدي امسيد
جسر القنطرة
جسر ملاح
جسر
شوارع وطرق
مسالك ودروب
***
جامع الكبير
واد الرمال
(درب السياح)
جسر سيدي راشد
جسر الشيطان
125
0
متر

1.5 ثراء جسوري (ثروة الجسور):

تمثل الجسور منذ القدم الرابط بين شيئين منفصلين من أجل لم الشمل من جهة، ومن جهة أخرى توطيد العلاقات مهما كان نوعها سواء كانت اجتماعية، اقتصادية، سياسية وغيرها، فمدينة قسنطينة بحكم خصوصيتها وتوضعها على صخرة كتحفة فنية أبت إلا أن تربط توسعها والأهم من ذلك هو تسويق منتجاتها سواءًا لتجارها أو لزوارها من أجل الدخول والخروج من وإلى المدينة، لذا تتوزع الجسور عبر مجال المدينة والمرتبطة أساسا بالصخرة الأم والتي تمثل المدينة القديمة من الجنوب إلى الشمال على نحو الترتيب المتسلسل التالي:

1.1.5 جسر الشيطان (Le Pont de diable):

وهو جسر حجري، سمية بهذا الاسم لأنه تم تشبيهه بصوت مياه الواد (واد الرمال) التي تخترق وتدخل الخوانق وتحدث ضوضاء جهنمية للمياه المتسارعة فيه. بنية من قبل الأتراك عند سفح صخرة الشهداء، يقع أسفل جسر سيدي راشد وفوق واد الرمال متوضع على حواف صخرية عالية يبلغ ارتفاعها حوالي 66 متر، وهو مخصص للمشاة فقط، وقد تضرر هذا الجسر لعدة مرات بسبب الفيضانات للمياه المشتركة لواد الرمال وواد بومرزوق. أنظر الصور رقم (01، 02)التالية:

صورة 1: جسر الشيطان

صورة 2: مدينة قسنطينة جسر الشيطان

2.1.5 جسر سيدي راشد (Le pont Sidi Rached):

انطلق بناء جسر سيدي راشد الحجري من طرف الفرنسيين في عام 1907 وتم تدشينه في 19 /04 /1912 م ويعد من أكبر الجسور الحجرية في العالم، تم إسناده إلى المهندس بوازينيي (BOISNIER) وهو من المهندسين الجدد آن ذاك متخصص في الجسور الكبيرة بمبلغ إجمالي قدره ثلاثة ملايين فرنك فرنسي. يبلغ طول هذا الجسر 447 متر وعرضه 12 متر، أما علوه فيصل إلى

105 متر، يحتوي الجسر على 27 قوس في ثلاث منحنيات وقطر أكبرها 70متر وبطول 30 متر، و13 منها لها فتحة يبلغ ارتفاعها 8,80 مترا.

يربط هذا الجسر وسط المدينة بالأحياء المجاورة كحي التوت، سيدي مبروك والقنطرة خاصة محطة القطار، كما يسمح بالوصولية إلى الطرق الأخرى خارج المدينة والمتجهة جنوبا الرّابطة بين قسنطينة ودائرة الخروب والولايات الأخرى المجاورة كباتنة، أم البواقي وبسكرة.

شهد جسر سيدي راشد لأعمال ترميم طارئة استدعت غلقه لمدة طويلة، بسبب توضعه على مناطق تتعرض باستمرار لظاهرة الانزلاقات الأرضية وخاصة على مستوى الدعامة الغربية للجسر، حيث تتطلب هذه الحالة لعمليات الانسداد والتصلب (colmatage). هذا ما توضحه الصورة رقم (03) الموالية:

صورة 3: مدينة قسنطينة جسر سيدي راشد

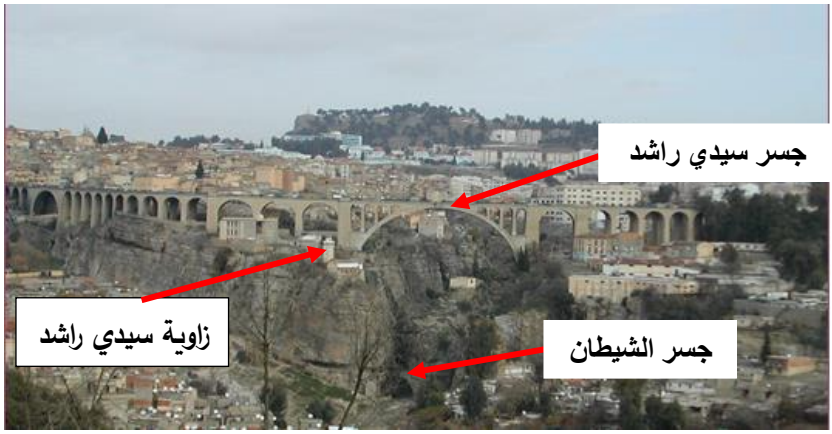

3.1.5 جسر ملاح سليمان (La passerelle Perregaux):

وهو جسر للمشاة فقط كان يسمى في عهد الاستعمار بمعبر بريقو (La passerelle Perregaux) وحاليا يسمى بجسر ملاح سليمان، تم بناؤه بين عامي 1917 و1925، وافتتاحه رسميا لحركة الراجلين بتاريخ 12 أفريل 1925م. يبلغ طوله 125 متر و عرضه 2,40 متر، هذا الجسر يعتبر المجسم المصغر لجسر سيدي امسيد بنفس تقنية الجسور المعلقة، وهو يربط مندوبية القنطرة خاصة محطة القطار بوسط المدينة عبر سلالم أو مصعد الجسر التابع للمدرسة سابقا وحاليا هي ملحق جامعي (طريق العربي بن مهيدي، Rue Nouvelle سابقا)، ويقع في منتصف المسافة الفاصلة بين كل من جسر سيدي راشد وجسر القنطرة. وفي الثلاثي الأول من سنة 2002 خضع الجسر لعملية ترميم كبرى كلفة بمبلغ قدره 21 مليون دينار. أنظر الصورة 4الموالية:

صورة 4: مدينة قسنطينة جسر ملاح سليمـان

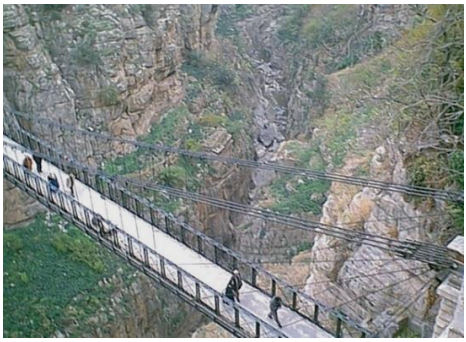

4.1.5 جســر القنطــرة (Le pont d'El Kantara):

كان جسر القنطرة هو الطريق الرئيسي للوصول إلى قسنطينة، ويعتبر الموقع الاستراتيجي للهجمات الرئيسية على المدينة. ففي سنة 1185 تم تدمير جميع الجسور الرومانية بالمدينة آن ذاك ما عدا جسر القنطرة الذي تم تأهيله. وفي سنة 1304م تم تدميره مرة أخرى ليعاد ترميمه من جديد في عهد صالح باي وهذا سنة 1792م من طرف المهندس المعماري بارتو لومييو (Bartolomeo) والذي تم إعادة بناؤه من الحجارة المأخوذة من أنقاض المدرج الروماني، هذا كله من أجل استعادة القناة المائية الرومانية التي تم تضمينها في الجسر، مما يمكن تزويد صهاريج المدينة بالمياه من منطقة جبل الوحش. أنظر الصورة رقم (06) الموالية:

صورة رقم 6: مدينة قسنطينة جسر القنطـرة:

5.1.5 جســر سيدي امسيد (Le pont de Sidi M'cid):

تم تدشين جسر سيدي امسيد بنفس تاريخ جسر سيدي راشد من طرف الفرنسيين وهذا في 19 /04 /1912 م، صممه المهندس فرديناند أرنودين (Ferdinand Arnodin) وتم إنجازه من قبل مقاولة وايت (Witte)، ويدعى بالجسر المعلق أو جسر المشاة سيدي امسيد يعبر خوانق الواد ويصل ارتفاعه إلى 175 متر فوق واد الرمال، يبلغ طوله 164 متر وعرضه 5,70 متر، وتصل سعة

حمولته إلى 17 طن. خلال عام 2000 خضع جسر سيدي امسيد لاستبدال 12 كابلا بما في ذلك 4 كابلات رئيسية. أنظر الصورة رقم (07) الموالية:

صورة 7: مدينة قسنطينة جسر سيدي امسيد

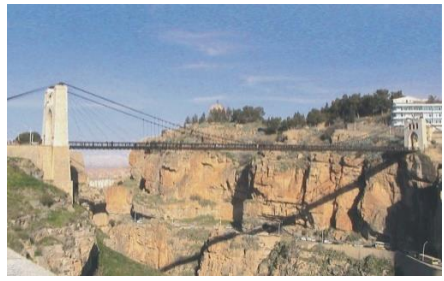

6.1.5 جســـر الشـلالات (Le pont des chutes):

تم تدشين جسر الشلالات سنة 1925م، ويعرف جسر الشلالات أيضًا بجسر سيدي امسيد نظرا لوقوعه في الحي الذي سمية باسمه. يجري وادي الرمال عند مخرج المضائق ويقع تقريبًا أسفل جسر سيدي امسيد، وتتسارع مياه الوادي في عدة شلالات على ارتفاع 80 مترا نحو سهل حامة بوزيان وتشكل بانوراما جميلة جدا، وعند هذه النقطة تهيمن الخوانق من ارتفاع 200 متر، أين يوجد القوس الطبيعي فوق الوادي في خلفية الجسر. كما سمح إنجازه من بين الأمور الأخرى إنشاء مطاحن القمح، حيث تم بناء مصنع خاص بصناعة العجائن الغذائية ومشتقاتها، علاوة على ذلك يمثل جسر الشلالات مخرج مسار درب السياح الذي يبدأ من جسر الشيطان وينتهي عنده. أنظر الصورة 8 الموالية:

صورة 8: مدينة قسنطينة جسر الشلالات

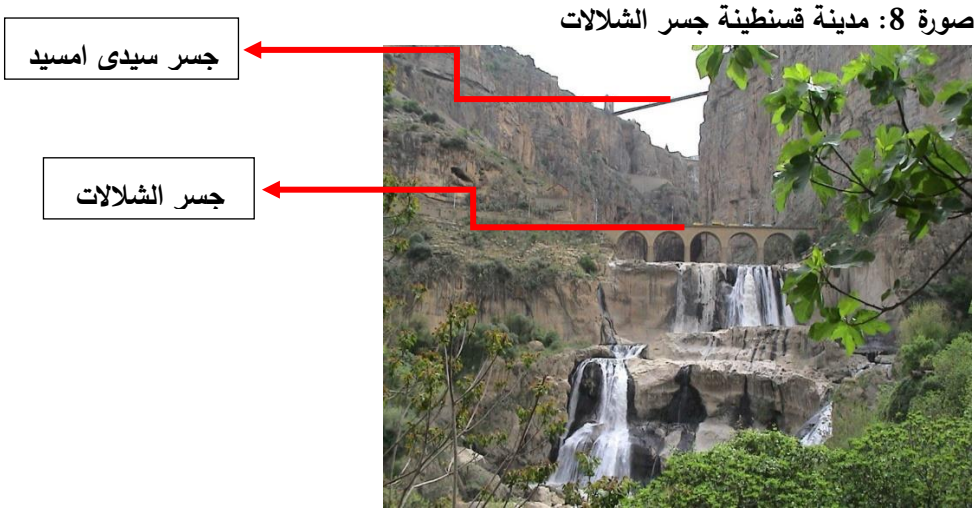

6. المقومات السياحية بعد الاستقلال درب السياح "حالة الدراسة"

" نزهة فريدة في العالم "

هي واحدة من الأمور المثيرة للاهتمام من المعالم السياحية في مدينة قسنطينة يسمى بدرب السياح. كما أنّ تهيئة هذا الدرب على حواف مضيق مجرى واد الرمال يتبع مساره على طوله بالكامل، تم تدشينه سنة 1895م من طرف المهندس فريدريك ريماس (Frederic REMES)، ويبلغ طوله حوالي 2,7 كلم. يعتبر هذا الدرب أحد البراعات التقنية والفنية في نفس الوقت والتي تجذب اهتمام السياح لاسيما موقعها المذهل واللافت للنظر بشكل خاص.

يبدأ الدرب من الجهة الجنوبية لباب جسر سيدي راشد عبر سلسلة من السلالم تمر بأخاديد مائلة وهضبة على بعد 100 متر من الضفة اليمنى لمجرى الوادي من أعلى جسر الشيطان تسمى بصخرة الشهداء (roché des Martyrs)، أما على الضفة اليسرى يمكننا أن نرى زاوية سيدي راشد تقف على نتوء صخري. يتبع مسار درب السياح بعد ذلك في الضفة اليمنى لواد الرمال بمسلك منعرج وملتف من خلال الشقوق الصخرية ويتراوح متوسط ارتفاعه من 30 إلى 50 متر فوق الماء (واد الرمال). ثم نمشي قليلا باتجاه مجرى الوادي نجد سد صغير في جهة الضفة اليسرى، يقوم هذا السد بتغذية مياه الوادي ويقوم بتجميعها وتحويلها إلى الأسفل أي نحو قناة تحت الأرضية، والتي تعبر الصخور وتتسارع مياهها فيها بأكملها لتغذية السقوط الاصطناعي (la chute artificielle) على مقربة من المصنع الخاص بصناعة القمح والعجائن (مصنع لافيز du moulin Laviez) الذي يبلغ ارتفاعه 128 متر. وقبل الوصول إلى جسر المشاة ملاح سليمان (la passerelle Perregaux) سوف نجد هناك وجود ركيزتين من الأساسات كبيرتين من العصر الروماني، قد تكون بقايا جسر أنطونين (pont d'Antonin) ولكن من المرجح أيضا أن تكون بقايا مطحنة وقد اختلف في تحديد هوية المكان بالضبط و الغالب أنها كانت جسر كما سبق وأن قلنا، ثم نمشي قليلا مبتعدين عن جسر ملاح سليمان نجد منطقة كانت في الماضي عبارة عن حمامات هي تسمى بحمامات القيصر أو حمامات سيزار تستقطب العائلات والأسر للاستحمام بمياهها الدافئة والاستمتاع بالمناظر المحيطة بها والمطلة على مشارف الواد بمياهها الدافئة تتغذى منها من منابع صخرية حرارية وشلالات، وعند استمرارنا في المسلك لسيما على الضفة اليمنى نصل إلى حمام صالح باي الذي تغذيه الينابيع الساخنة، وكان الحاكم يستحم فيه وينزل إليه بانتظام عن طريق سلالم حجرية مقطوعة بانتظام ولاتزال هذه السلالم قائمة حتى الآن ويمكن رؤيتها من أسفل المدرسة

(ملحق جامعي)، وفي مقابل هذه الضفة أي في الضفة اليسرى لا تزال أيضا أنقاض قناة مائية رومانية. نمشي قليلا قبل أن نصل إلى جسر القنطرة خاصة على مستوى محطة القطار نجد على طرفي أو جانبي الوادي بقايا من أنقاض أعمدة لجسر قديم يعود إلى العصر الروماني، وعندما نمشي قليلا نصل إلى جسر القنطرة، الذي يوجد به مدخل آخر لدرب السياح نستطيع من خلاله الولوج إليه، وبعد هذا الجسر (أي جسر القنطرة) يمر مسلك الدرب تحت فجوة صخرية كبيرة (قبو حجري طبيعي) حفرها الواد على الجانبين يبلغ طولها حوالي 300 متر، تحت هذه الفجوة نجد اثنين من الممرات (المسالك) المعدنية تسمح بالمرور على الضفة اليسرى ، والعودة إلى الضفة اليمنى ولكن اليمنى أقل بكثير من اليسرى وعند المرور داخل هذه الفجوة نستمتع بالمناظر المحيطة ونكتشف الصواعد و النوازل وحوض نبع مائي متحجر. قربها مباشرة نجد فجوة صخرية ثانية لكنها بأبعاد أصغر وأقل ارتفاعا من الأولى تعرف بكهف العلامة بن مكلوف، وتحت جسر سيدي امسيد يمر مسار الدرب تحت قوس طبيعي أخير، ويستمر مسار الدرب في شوطه الأخير من الضفة اليمنى لجانب الوادي إلى غاية أن يصل لجسر الشلالات، وعلى الطرف الآخر من الضفة اليسرى نجد خزّانات وصهاريج طبيعية تقوم بتغذية ساقيات هذه الأخيرة موّجهة لري حدائق الوادي، والشكل 2 أدناه يوضح ذلك[8].

[8] مديرية السياحة لولاية قسنطينة، سنة 2021.

شكل 2: مدينة قسنطينة درب السياح مع المخطط وصور الجسور.

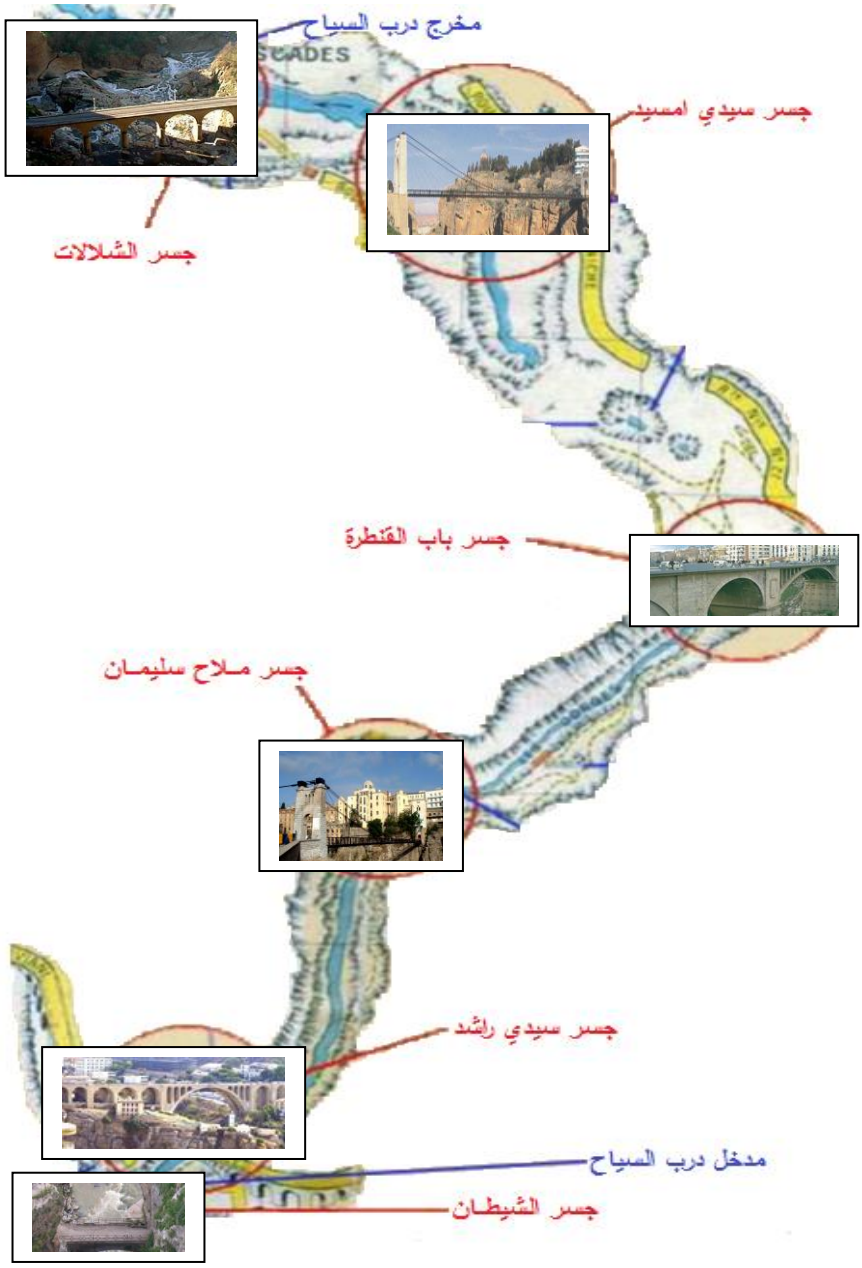

المصدر: مخطط التناسق الحضري بقسنطينة "التشخيص المستقبلي للتجمع القسنطيني الكبير"، 2007، ص 98+معالجة الباحث

1.6 تقسيم درب السياح:

تم تقسيم درب السياح إلى سبعة (07) أقسام والممتد من جسر الشيطان الموازي لحديقة باردو والواقع في حدودها والمقابل لجنان التينة (حي رومانيا السفلى) إلى غاية جسر الشلالات هذا المسار كله تم تسطيره من طرف مديرية السياحة الولائية لقسنطينة رفقة مجلس عمل مع السلطات المحلية والشركة الجزائرية للجسور والأعمال الفنية (SAPTA)، وتبقى مديرية السياحة هي مدير المشروع، حيث قسم الدرب كما يلي:

القسم رقم (01): من المدخل رقم 01 من شارع حي رومانيا إلى السد القديم.

القسم رقم (02): من السد القديم إلى السلالم الموازية لحمام الباي.

القسم رقم (03): من السلالم الموازية لحمام الباي إلى جسر القنطرة.

القسم رقم (04): التقاطع مع الحمامات ما بين حمام الباي وحمامات القيصر.

القسم رقم (05): من جسر القنطرة إلى بداية مسار الوحدة الثانية تحت القوس الأول.

القسم رقم (06): من القوس الأول إلى مهيلات (l'éboulis) القوس الرابع.

القسم رقم (07): من مهيلات (l'éboulis) القوس الرابع إلى جسر الشلالات.

وفي الأخير لقد تم الاحتفاظ بكل من القسم رقم (01) والقسم رقم (02) من أجل التدخل وتهيئة الدرب في هذان القسمان فقط كتجربة مبدئية والمقدرة بمسافة واحد (01) كيلومتر حسب ما يوضحه الشكل 3 أدناه إلى غاية تعميمها فيما بعد على كامل الدرب الذي يبلغ طوله 2,7 كيلومتر[9].

[9] المديرية الولائية للسياحة بقسنطينة، سبتمبر 2021م.

شكل 3: مدينة قسنطينة تهيئة جزء من دري السياح (قسم 01، 02).

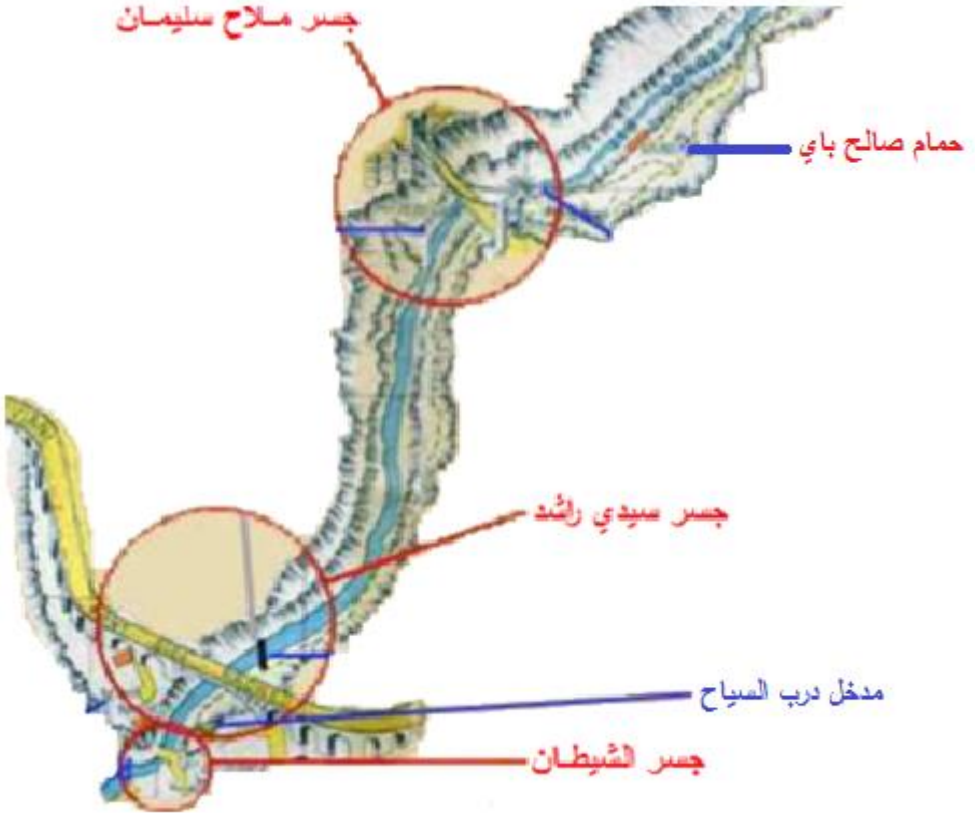

المصدر: مخطط التناسق الحضري بقسنطينة "التشخيص المستقبلي للتجمع القسنطيني الكبير"، 2007، ص

تسمى الشركة التي تقوم بدراسة المخاطر (Etude de Risques) لدرب السياح باسم الشركة الجزائرية للجسور والأعمال الفنية والمختصرة لكلمة (SAPTA) أي (**S**ociété **A**lgérienne des **P**onts et **T**ravaux d'**A**rt)، وهي نتاج شركة مختلطة تم إنشاؤها في 24 أكتوبر 1973 من قبل وزارة الأشغال العامة والبناء بنسبة 51 % من جهة وشركة Compagnie Française d'Entreprises Métalliques بنسبة 49% من جهة أخرى أسهم تحت اسم سابتا الجزائرية للجسور والأعمال الفنية.

- وفي 06 أوت 1983م وبموجب المرسوم رقم 474/83، تم تحويل هذه الشركة إلى شركة اشتراكية تحت اسم ENPTA الشركة الوطنية للجسور والأعمال الفنية.

- في 05 أوت 1989 وبقرار من مجلس التخطيط الوطني، تم تحويل الشركة إلى شركة مستقلة وأصبحت EPE SAPTA
- في 27 جانفي 1991م، تم منح الشركة مكانة شركة مساهمة واتخذت شكلها الحالي EPE SAPTA Spa.
- في 27 جوان 2016م، بعد إعادة هيكلة SGP SINTRA، أصبحت SAPTA تحت إشراف مجموعة جديدة تسمى GITRAMA.

3.6 بعض الأعمال المنجزة من الشركة:

تتجلى بعض أعمال الشركة والتي تم الانطلاق فيها منذ سنة 2014 أي قبل قسنطينة عاصمة الثقافة العربية والتي كان مقرر إنهاء الأعمال فيها مع حلول هذه التظاهرة، إلا أن الظروف لم تسنح ذلك نظرا لوجود أعمال كبيرة وكبيرة جدا خلال عملية الحفر والتهيئة وحتى البحث عن مسار الدرب بحد ذاته لأنّه منذ فترة الاستعمار وبالتحديد منذ سنة 1958م حسب مديرية السياحة الولائية لم يتم صيانة ومراقبة درب السياح إلى غاية سنة 2014، فما هي يا ترى الحالة التي وقف عليها عمال الشركة من أجل البحث والتطهير والتنقية على هذا الدرب؟ دون أن ننسى أمام الوعي الخاص بالمواطنين والمتمثل أساسا كيفية التعامل مع الفضلات والمهملات، ونقص الوعي لدى عامة الناس في هذا الشأن، الذي سيكون كارثي بالدرجة الأولى وسنعرض بعض الصور التالية ستكون خير دليل على ما نقول، فالصور تعبر لوحدها عن الصورة الكارثية التي آلة إليها الدرب لمدة حوالي 56 سنة من الزمن[10].

صورة 9 و10: عمال الشركة يقومون بنزع الأشجار والتي يتراوح ارتفاعها من 03 إلى 06 متر مع الحفر ونزع الردم مع شق الطريق الخاص بمسلك درب السياح.

[10] المديرية الولائية للسياحة بقسنطينة، سبتمبر 2021م.

صورة 11: بداية ظهور درب السياح مع وجود أعمدة الوقاية الخاصة بالمسلك.

صورة 12: الكشف عن أعمدة الوقاية الخاصة بالمسلك (منظر عن قرب)، ومتابعة نزع الردم مع ظهور المسلك

صورة 13 و14: عمال الشركة يقومون بالحفر أمام الكم الهائل من الردم مع وجود أشجار كبيرة الحجم ونباتات وبعض الأشجار المثمرة كشجرة التين.

صورة 15: مسلك الدرب مغلق وغير واضح مليء بالتربة والأشجار والحشائش.

صورة 16: بداية مسلك الدرب بالقرب من جسر الشيطان، وضوح أعمدة الحماية الخاصة بالمسلك، مع ظهور سد صغير

4.6 نتائج الدراسة:

من خلال ما تم التطرق إليه من قبل في العناصر السالفة الذكر، أين تم انعقاد اجتماع خلال الثلاثي الثالث من سنة 2021 لكل من المديرية الولائية للسياحة بقسنطينة كمدير مشروع والشركة الجزائرية للجسور والأعمال الفنية (SAPTA) والخاصة بدراسة الأخطار لدرب السياح من جهة ومن جهة أخرى المسار الذي تم اعتماده من طرف والي الولاية والمقدر بمسافة واحد (01) كيلومتر من أصل 2,7 كيلومتر، حيث تم تسجيل تحفظات لهذه الدراسة والتي كانت ترتكز جلها على الجانب التقني البحث للمشروع، وسيتم استدعاء الشركة في أقرب الآجال لسيما في الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر من سنة 2021 من أجل رفع التحفظات، ويبقى المشروع قيد الانتظار إلى غاية أن يتم عرضه على الوالي الجديد بغرض المواصلة في المشروع أو لديه نظرة أخرى حياله، إلى ذلكم الحين لم يتم الصفح على هذا الإنجاز إلى غاية اليوم، وتبقى المسافة للقسم (01) و(02) رهن التطبيق على أرض الواقع.

7. خاتمة:

تعد المدينة القديمة المركز الحيوي لقسنطينة وذلك لاحتوائها كل الإدارات والمؤسسات الخدماتية للولاية، إضافة إلى أنها مركز تجاري جد هام حيث تحتوي على عدد معتبر من المحلات التجارية التي تعرض مختلف المنتوجات التقليدية والعصرية التي تعرف بعادات وتقاليد المنطقة، إضافة إلى كل هذا فهي قطب ثقافي مشع لما تحتويه من معالم أثرية وتاريخية ومراكز ثقافية عديدة، تتميز بنسيج عمراني يمزج بين الطابع العربي الإسلامي والمباني المتلاصقة ذات الطابع الأوربي والموروث عن الإستعمار الفرنسي، كما أنها تحتوي على مناظر خلابة تتجلى في الصخرة العتيقة وواد الرمال الذي يشقه إلى جزأين يربط بينهما مجموعة من الجسور يترجمها درب السياح بامتياز، إذن فالمدينة القديمة تعتبر منطقة سياحية فريدة من نوعها وجب علينا الإهتمام بها والعمل على تهيئتها وتحسين مظهرها، لسيما هذا المكنون السياحي المميز ألا وهو درب السياح الذي يعتبر كما قلنا من قبل نزهة فريدة في العالم، يمكن رؤيتها على طول جرف وادي الرمال والممتد من حديقة باردو التي تم تهيئتها مؤخرا وأعطت رونق وجمال رائع للمدينة خاصة وأنت تعبر جسر سيدي راشد واتصالها بجسر الشيطان والممتد إلى غاية جسر الشلالات، هذا المسار الذي تضرر بمرور الوقت ولم يتم صيانته إلى غاية اليوم أصبح غير عملي تماما، ومع ذلك يبدوا أن هناك رغبة معينة وإرادة مؤكدة من طرف السلطات لسيما المديرية الولائية للسياحة بقسنطينة التي باشرت في عملية بعث المشروع وطرحه على جميع الولاة الذين تداولوا على ولاية قسنطينة وفي كل مرة شرح مشروع الدرب

والذي الآن هو في مرحلته الأخيرة من أجل رفع التحفظات التي كانت تقنية في أصلها والتي سترى النور في الأيام القليلة القادمة، إلاّ أن تنفيذ مسلك الدرب يكون على مسافة واحد (01) كيلومتر فقط من مجموع 2,7 كيلومتر كتجربة لما يعطيه من نتائج عملية على أرض الواقع، غير أنّ دراسة الأخطار لهذا الدرب فقد تم دراسته كاملتًا على طول المسار و لم يقتصر فقط على المرحلة الأولى من تنفيذ المشروع، مما يجعلنا ننتظر بشوق ونتوق لرؤية هذا المشروع يتحقق، فإنه حقيقة استثمار ما بعده استثمار في تنمية اقتصادية جديدة تشجع كل المشاريع التي تقودنا للأحسن.

8. قائمة المراجع:

1- أبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، المفردات في غريب القرآن، الجزء الأول، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ص 324.

2- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيـط، دار النشر مكتبة رحمانية، سنة 2003، ص 467.

3- صبري فارس الهيتي، التخطيط الحضري، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن–، سنة 2009، ص 225.

4- مخطط التناسق الحضري بقسنطينة "التشخيص المستقبلي للتجمع القسنطيني الكبير"، 2007، ص 98.

5- مديرية السياحة لولاية فسنطينة.

6- Direction du tourisme de la wilaya de Constantine, Avant-Projet d'élaboration d'un guide touristique de la wilaya de Constantine, 2006.

7- URBACO-EDR, étude de l'élaboration du schéma de cohérence urbaine de Constantine, Rapport I délimitation du périmètre de l'étude, septembre 2006, P46

8- URBACO-EDR, Rendu mission II, schéma de cohérence urbaine de Constantine, Le diagnostic prospectif du Grand Constantine, Avril 2007, P231.

9- URBACO-EDR, Rendu mission III, schéma de cohérence urbaine de Constantine, Enjeux majeurs du SCU du Grand Constantine, Juin 2007, P36.